الألقاب والكنى

وعلاقتها بالمهن والصناعات والحرف

بغرب الجزيرة العربية عبر العصور

الدكتورة :

نعيمة بنت عبدالله بن دهيش*

* بكالوريوس تاريخ من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- ماجستير من قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية من الكلية والجامعة نفسها عام ١٤٠٧هـ.
- دكتوراة عام ١٤٢٠هـ .
- تعمل الآن أستاذاً مساعداً بقسم التاريخ والحضارة بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

المقدمة :

لقد كرم الإسلام الإنسان الكادح، ورفع شأنه؛ فالإسلام يرى أن العمل ضرب من العبادة، ولذلك اختصه بالتمجيد ودعا إليه، فقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾[١] ، وقال : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾[٢] ، وعن المقدام بن معد يكرب الزبيدي عن رسول الله ﷺ قال : «ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة»[٣].

ولم يفرق الإسلام بين أنواع العمل فكلها تتمتع باحترام، خاصة إذا كان بعيداً عن المحرمات، فللمسلم أن يكتسب قوته وقوت من يعول عن طريق ممارسة أي مهنة أو حرفة أو صنعة شريفة، أو من تجارة أو زراعة أو أي وظيفة من الوظائف، ما دامت لا تقوم على حرام، ولا تقترن بحرام.

---

(١) سورة الملك ، الآية : ١٥ .

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ١٠ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب، ج ٢ ص ٧٢٣، حديث رقم ٢١٣٧ .

ولا ينبغي للمسلم تحقير بعض المهن والأعمال، فقد نهى الرسول الكريم ﷺ عن ذلك، كما علم أصحابه رضوان الله عليهم أن الكرامة كل الكرامة في العمل، وأن الهوان والضعة في الاعتماد على معونة الآخرين .

فعيش المرء عالة على سعي غيره هو الذي يستوجب وحده الاحتقار، ومن أدلة تمجيد الإسلام للعمل أن الرسول نفسه اشتغل في بدء حياته بالرعي، كما اشتغل بالتجارة.

قال ﷺ : «لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[1].

فالعمل والإنتاج يرتقيان في نظر الإسلام إلى مستوى التعبد، بل مستوى الجهاد في سبيل الله حتى أن النبي ﷺ فضل العمل و السعي في طلب الرزق على الانقطاع إلى العبادة .

كما اعتبر الإسلام أن العمل نعمة تقتضي الشكر عليها ومن ثم الحفاظ عليها فيقول تعالى : ﴿ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ ﴾[2] ، هذه هي منزلة العمل في الإسلام .

ولقد كان للناس في منطقة الحجاز حِرَفٌ ومهن مختلفة تسد حاجاتهم ومتطلباتهم في مختلف شئون حياتهم .

وقد تصديت لهذا البحث لأبين مدى العلاقة بين ممارسة تلك المهن والحرف، التي كانت تمارس، وبين ألقاب وكنى بعض الأسر القاطنة بمنطقة الحجاز .

وبينت خلال دراستي هذه نظرة العرب - خاصة في جاهليتهم - إلى تلك المهن، وكيف كان يلاقي بعضها التحقير والاستهانة، وقد علمنا رسولنا الكريم ﷺ أن

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ١٦٧/١ .

(٢) سورة يس ، الآية : ٣٥ .

نغير وجهتنا ونظرتنا إلى تلك المهن، والنظر إلى كل من يعمل بكد يده وعرق جبينه بالتقدير والاحترام ، والله المستعان، وعليه التكلان ..

الفصل الأول : أهمية العمل اليدوي وأهمية استثمار الوقت:

الصنعة في اللغة :

هي حرفة الصانع وعمله، فيقال : امرأة صناع اليدين : أي حاذقة وماهرة بعمل اليدين، ورجل صنيع اليدين : أي صانع حاذق[1]، قال الله تعالى : ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2] . وقيل : إن الصنع إجادة الفعل، وهو الفعل الصادر عن الإنسان، والصناعة : هي حرفة الصانع، وعمله يسمى : الصنعة[3] .

المهنة في اللغة :

المهنة هي : الحذق بالخدمة، والعمل ونحوه، وقد مهن يمهن مهناً : إذا عمل في صنعته[4] وفي الحديث، عن يحيى بن سعيد أنه سأل عمرة عن الغسل يوم الجمعة فقالت : قالت عائشة رضي الله عنها : «كان الناس مهنة أنفسهم، وكانوا إذا راحوا إلى الجمعة راحوا في هيئتهم ، فقيل لهم لو اغتسلتم»[5] .

والمهنة تعني العمل، امتهن الرجل ومهن : عمل في صنعته، وامتهن : اتخذ مهنة، والمهنة : العمل يحتاج إلى خبرة ومهارة وحذق في ممارسته .

---

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري. **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)** ١٢٤٥/٣؛ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ٠- ط٢ ٠- بيروت : دار العلم للملايين . وابن منظور الأفريقي. **لسان العرب** ٥٠٨/٤.

(٢) سورة النمل ، الآية : ٨٨ .

(٣) **لسان العرب** : ٢٥٠٨/٤، **والصحاح** : ١٢٤٥/٣ .

(٤) **لسان العرب** : ٤٢٩٠/٦ .

(٥) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الجمعة، باب وقت الجمعة إذا زالت الشمس : ٣٠٧/١ حديث رقم ٦٨١ .

عن الأسود قال: سألت عائشة ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته قالت: «كان يكون في مهنة أهله تعني خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»[١] .

الحرفة في اللغة :

الحرفة مأخوذة من تنمية المال، يقال جاء فلان بالإحراف إذا جاء بالمال الكثير، وفلان يحرف لعياله أي يكسب بعمله من ههنا وههنا[٢] .

ويقال حرّف لأهله واحترف، أي كسب وطلب، والحرفة : جهة الكسب ومصدره، وهي الصنعة التي يرتزق منها[٣] .

والحرفة : الطعمة، والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب[٤]، وكل ما يشتغل به الإنسان يسمى صنعة وحرفة؛ لأنه ينحرف إليها[٥] .

أهمية العمل اليدوي:

كانت العرب قبل الإسلام تحتقر بعض الحرف والمهن ، وتحتقر من يمتهنها، ومن هذه المهن : مهنة الحدادة، حيث كانوا يطلقون على من يقوم بها «القن» والتي تعني في اللغة : العبد الرقيق، وكان أصحاب هذه المهن يشكلون طبقة وضيعة في المجتمع الجاهلي في منطقة الحجاز، فلا يزوجونهم ، ولا يتزوجون منهم، كما كانوا يأنفون من مخالطتهم والتحدث إليهم .

---

(١) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الجماعة والإمامة، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج : ٢٣٩/١ حديث رقم : ٦٤٤ .

(٢) **الصحاح** : ١٣٤٢/٤ .

(٣) **لسان العرب** : ٨٣٩/٢ .

(٤) محمد مرتضى بن محمد الواسطي الزبيدي. **تاج العروس من جواهر القاموس**؛ تحقيق : إبراهيم الترزي ٠- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ، ج٢٣، ص١٣٣.

(٥) محمد بن يعقوب الشيرازي، الفيروز آبادي. **القاموس المحيط** ٠- بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ/١٤١٥م، ج ٣، ص ١٣١ .

فكانت بزعمهم يعتقدون أنها حرف العبيد والخدم والأعاجم والمستضعفين في الأرض، وقد يكون سبب عزوفهم عن بعض المهن والحرف اعتقادهم بأنها مقيدة لحريتهم وحركتهم، وهم من تعودوا على الحركة والأسفار والترحل والانتقال من مكان إلى مكان بحثاً عن الكلاء ، فالعرب لا تأنف من العمل في التجارة ، والرعي، والغزل والنسيج الذي كان منتشراً في حاضرة العرب وباديتها، كما كانت البادية تحتقر أيضاً مهنة الزراعة دون الحضر الذين لا يرون بأساً من العمل بها .

ثم جاء الإسلام ليؤكد مشروعية العمل، وحاجة الإنسان إليه دون تفضيل عمل على الآخر، وإنما الأصل في مشروعية العمل هو العمل الذي يحقق الكسب الحلال، وقد حث الإسلام على السعي والانتشار في الأرض ، وابتغاء الرزق الحلال فيها .

لقد أعطى الإسلام كل فرد الحق في أن يزاول أي عمل مشروع يناسبه، وتكون لديه القدرة على القيام به، والعمل الصالح يدر على الإنسان أفضل المكاسب في مختلف أنواع التجارة والزراعة والصناعة وسائر الحرف المشروعة التي تعود عليه بالرزق الحلال فتحميه مكاسبه من ذل السؤال[1] .

حتى في يوم عيد المسلمين الأسبوعي يوم الجمعة أذن الإسلام لهم بالبيع والشراء عقب انتهاء الصلاة : قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[2] .

وفي الحج ومواسمه أجاز الإسلام أيضاً للمسلم أن يزاول أعمال التجارة

---

(١) عبد العزيز محمد سندي. **الأحكام في حقوق الإنسان في الإسلام**، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص٢١٧ .

(٢) سورة الجمعة ، الآيتان : ٩، ١٠.

والعمل ، حتى وهو في لباس الإحرام، وذلك بقوله عز وجل : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾(١).

وبالعمل يعمر الكون، وتقضى حوائج الناس ، فقد بينت الشريعة الإسلامية الغراء مدى احترام العمل اليدوي ، وأن كل من ينتسب إليه ويؤديه يجد الاحترام والتقدير، وأكدت على أن من يمارسه لا يتعرض إلى أي مهانة، بل هي مدعاة للفخر والاعتزاز لكونه يترزق بصنع يده.

قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾(٢).

كما يؤيد ذلك ما ورد في حديث رسول الله ﷺ : «ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده»(٣).

هذا هو مبدأ الإسلام : فإن الأرض قد هيأها الله وسخرها ذلولاً للإنسان، فينبغي أن ينتفع بهذه النعمة، ويسعى في جوانبها مبتغياً من فضل الله .

ولا يحل للمسلم أن يكسل عن طلب رزقه، باسم التفرغ للعبادة، أو التوكل على الله، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة(٤) .

والقيام بحق العيال بكسب الحلال أفضل من العبادات البدنية، ولكن ينبغي

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٨ .

(٢) سورة الملك ، الآية : ١٥ .

(٣) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمل يده. ٢/٧٣٠، حديث رقم ١٩٦٦.

(٤) يوسف القرضاوي . **الحلال والحرام في الإسلام**- ط٢ - دمشق : المكتب الإسلامي ، ١٣٨٢هـ /١٩٦٢م، ص ٨٩ .

مع ذلك أن لا ينفك عن ذكر الله تعالى ولو بقلبه، كان أبو الحسن يعمل بالمسحاة دائماً ويقول أعطينا اليد للعمل، واللسان للخلق، والقلب للحق .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة» قالوا فما يكفرها يارسول الله قال: «الهموم في طلب المعيشة»(١) . وقال ﷺ : «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة» (٢). وقال عليه السلام : «طلب الحلال واجب على كل مسلم»(٣) . وقال أيضاً ﷺ : «طلب الحلال جهاد»(٤). وعن محمد بن قدامة قال : حدثنا شاذان قال : سألت الحسن بن يحيى عن شيء من أمر المكاسب فقال : إن نظرت في هذا حرم عليك ماء الفرات، ثم قال : قال الحسن يعني البصري : طلب الحلال أشد من لقاء الزحف(٥).

وحث الإسلام المسلمين على كسب العيش بالعمل اليدوي بالحلال، فكان الصحابة رضوان الله عليهم، وأفاضل الأمة يمتهنون أنفسهم ويسعون على عيالهم تعففاً وتواضعاً.

قال إمام الحرمين الجويني : «لو ترك الناس المكاسب معولين على الاصطياد، لهلكوا وضاعوا واضطربوا وجاعوا»(٦).

فهو بذلك يحث على طلب الرزق، ويدعو للإنتاج بعناصره المختلفة، إذ يشمل

---

(١) أخرجه الطبراني في **المعجم الأوسط** ج ١ ص ٣٨ .

(٢) أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير** ج ١٠ ص٧٤ .

(٣) أخرجه الطبراني في **المعجم الأوسط** ج ٨ ص ٢٧٢ .

(٤) أخرجه الشهاب في **مسنده** : ٨٣/١.

(٥) عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي البغدادي . **كتاب الورع** ؛ تحقيق محمد بن حمد الحمود٠- ط١ ٠- الكويت : الدار السلفية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج١ ص١١٧.

(٦) عبد الملك بن عبد الله ، أبو المعالي الجويني. إمام الحرمين، **غياث الأمم في التياث الظلم** ؛ تحقيق عبد العظيم الديب ٠- ط١ ٠- الدوحة : كلية الشريعة - جامعة قطر ، ١٤٠٠هـ: فقرة ٤٠٢ ص٢٨٣ .

لفظ المكاسب: استثمار أي عنصر من عناصر الإنتاج المتوافرة لدى الإنسان، وبالأخص عنصر العمل، لكونه القاسم المشترك في غالب العمليات الإنتاجية.

فتأتي أهمية طلب الرزق والسعي فيه لما به من قوام الدين بإعانة المسلم على العبادة، وقوام الدنيا بإعمار الأرض وتحقيق استخلاف الإنسان فيها .

ويقول الإمام الشيباني : «إن المرء باكتساب ما لابد له منه ينال من الدرجة أعلاها، وإنما ينال ذلك بإقامة الفريضة، ولأنه لا يتوصل إلى إقامة الفرض إلا به، فيكون فرضاً بمنزلة الطهارة لأداء الصلاة، وبيانه من وجوه : أحدها أن يمكنه من أداء الفرائض بقوة بدنه، وإنما يحصل له ذلك بالقوت عادة، ولتحصيل القوت طرق : الاكتساب أو التغالب أو الانتهاب، وبالانتهاب يستوجب العقاب، وفي التغالب فساد، والله لا يحب الفساد، فتعين جهة الاكتساب لتحصيل القوت. وكذا لا يتوصل إلى أداء الصلاة إلا بستر العورة، وإنما يكون ذلك بثوب، ولا يحصل له إلا بالاكتساب عادة، وما لا يتأتى إقامة الفرض إلا به يكون فرضاً في نفسه»(١).

وقال ابن خلدون مؤكداً على أهمية العمل في قيام أمور الدنيا:«على الإنسان أن يسعى في المعاش والاعتمال في تحصيله من وجوهه، واكتساب أسبابه»(٢).

ثم أضاف : «فالإنسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته»(٣).

---

(١) محمد بن الحسن الشيباني. **الاكتساب في الرزق المستطاب**؛ تحقيق محمود عرنوس٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م ، ص٣٣، ٣٤ .

(٢) عبد الرحمن بن خلدون المغربي . **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الأول المسمى بـ (المقدمة)** ٠- ط٢ ٠- بيروت ، لبنان : مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، ١٩٦١م، ص ٦٧ .

(٣) المرجع السابق .

وبالعمل يكون الإنتاج، ويزداد بزيادته كماً وكيفاً ، وفي سورة مريم يقول الله تبارك وتعالى مخاطباً مريم عليها السلام : ﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[1] فالله عز وجل قادر على رزقها وإطعامها، ولو لم تهز بيدها جذع النخلة، ولكن الله أمرها بذلك ليعُلم عباده ألا يتركوا اكتساب الرزق وطلبه، وبذل الأسباب للحصول عليه بالعمل[2].

ولا ينبغي ترك العمل بحجة التوكل ، عن صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل أنه سأل أباه عن التوكل ، فقال : التوكل حسن، ولكن ينبغي أن يكتسب ويعمل حتى يُغني نفسه وعياله ولا يترك العمل، قال : وسُئل أبي وأنا شاهد عن قوم لا يعملون ويقولون نحن المتوكلون، فقال : هؤلاء مبتدعون[3].

ولا يحل له الاعتماد على صدقة تمنح له، وهو يملك أسباب القوت ما يسعى به على نفسه، ويغني به أهله ومن يعول[4] .

عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال : «لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لغاز في سبيل الله أو لعامل عليها أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهداها المسكين للغني»[5].

ومن أشد ما قاومه رسول الله ﷺ، وحرمه على المسلم، أن يلجأ إلى سؤال الناس،

---

(١) سورة مريم ، الآية : ٢٥ .

(٢) إبراهيم الطحاوي . **الاقتصاد الإسلامي مذهباً ونظاماً : دراسة مقارنة** ٢٣٧/١ .

(٣) عبد الرحمن جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي . **تلبيس إبليس** ٠- مصر : إدارة الطباعة المنيرية، مكتبة الدعوة الإسلامية ، ص ٢٨٤ .

(٤) يوسف القرضاوي. **الحلال والحرام في الإسلام** ، ص٨٩ .

(٥) أخرجه أبو داود في **سننه**، كتاب الزكاة، باب من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني، ج ٢ ص ١١٩ حديث رقم ١٦٣٥ .

فيريق ماء وجهه، ويخدش مروءته، وكرامته من غير ضرورة تلجئه إلى السؤال .

فبذلك صان النبي ﷺ للمسلم كرامته، وعوده التعفف، والاعتماد على النفس، والبعد عن تكفف الناس(١).

وينبغي للعمل والتكسب أن يكون الحصول على المال والأجر بطرق مشروعة خالية مما نهى الإسلام عن إنتاجه، أو العمل فيه، كصناعة الخمور، وتربية الخنازير، وصناعة الأصنام والتماثيل، أو ما قيد العمل وكسب الرزق به في منع الظلم والإضرار بالآخرين سواء بالغرر أو الغش أو الغبن أو الاحتكار وخلافها(٢).

والعمل فرض على جميع أفراد المجتمع، فالناس تحتاج إلى مختلف المهن والأعمال، من بناء المساكن التي يسكنونها، ونسج الثياب التي يلبسونها، وزرع الأشجار التي يأكلون ثمارها، وإلى الفلاحة والحياكة والخياطة والتطبيب، وإلى إقامة جميع الحرف والصنائع وما تتم به معايش العباد من بيع وشراء، وإلى ما لابد منه لتحقيق مصالح الناس ودفع الضرر عنهم، ولهذا قال كثير من الفقهاء، إن العمل في أصول الصناعات التي يحتاج الناس إليها ولا تتم مصالح الناس ومعايشهم إلا بها، يعدُّ فرض كفاية على الجميع، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين ، ويكفي غلبة الظن أن البعض فعله، بل إن القيام بها يعتبر فرضاً واجباً عند الحاجة إليها ، وأن الكسب بقدر ما لابد منه فريضة(٣).

---

(١) يوسف القرضاوي . **الحلال والحرام في الإسلام** ، ص٨٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠١، وانظر : محمد عبد المنعم عفر . **الاقتصاد الإسلامي** - ط١ - جدة : دار البيان العربي ، ١٩٨٥م : ٦٤/٣ .

(٣) **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** ؛ جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه محمد، طبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بإشراف : الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين : ١٩٤/٢٩ .

ويجب على كل إنسان أن يعمل ويستثمر طاقاته وقدراته إلى أقصى حد في الأعمال التي تناسب ميوله ومواهبه، فاختلاف الناس في مواهبهم وقدراتهم يعني أن كلا منهم قد خُلِقَ وخُلِقَ معه استعداده للأعمال التي يستطيع مزاولتها والبروز فيها، يقول المصطفى ﷺ : «اعملوا فكل ميسر لما خلق له[1]» ولهذا فعلى المرء أن يتجه في مناحي الكسب والإنتاج إلى الوجهة التي تلائم طبيعته وقدراته ومواهبه[2].

فالعلاقة بين الزراعة والصناعات والحرف والمهن والمجتمع علاقة قوية، فهي مهد الرجال، وصقل لهم، فتقدم للمجتمع أشخاصاً أصحاب خبرات متخصصين .

فالحرف والصناعات ليست عملاً مباحاً في شريعة الإسلام فحسب ، بل هي فرض كفاية في دين المسلمين، بمعنى أن الجماعة الإسلامية لابد أن يتوافر في أهلها من كل ذي علم وحرفة وصناعة من يكفي حاجتها، ويقوم بشأنها .

فإذا حدث نقص في جانب من جوانب العلم أو الصناعة، ولم يوجد من يقوم به، أثمت الجماعة كلها، وبخاصة أولو الأمر ، وأهل الحل والعقد فيها.

فكل صناعة أو حرفة تسد حاجة في المجتمع أو تجلب له نفعاً حقيقياً، فهي عمل صالح إذا نصح فيها وأتقنها كما أمره الإسلام[3] .

ويحق لكل مهني أو عامل أو حرفي أن يفتخر فبعض أنبياء الله ، كانوا من

---

(١) أخرجه الترمذي في **جامعه الصحيح**، باب ومن سورة والليل إذا يغشى ٤٤١/٥، حديث ٣٣٤٤.

(٢) عبد السميع المصري. **مقومات العمل في الإسلام** ٠- ط١ ٠- القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٢هـ، ص ١٢ .

(٣) يوسف القرضاوي. **الحلال والحرام ، ص** ٩٣ .

العمال أصحاب المهن والحرف . فنبي الله داود عليه السلام[١] كان حداداً يصنع الدروع ويأكل من عمل يده.

وإدريس نبي الله عليه السلام[٢] كان خياطاً وخطاطاً[٣]، ونوح نبي الله عليه السلام[٤]، وزكريا نبي الله عليه السلام[٥] كانا نجارين[٦]، وموسى نبي الله وكليمه

(١) نبي الله داود بن إيشا بن عويد بن عامر بن سلمون بن نحشون بن عوينادب بن إرم بن حصرون ابن فارض ابن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ ... وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ... ﴾[سبأ: ١٠] قال الحسن البصري وقتادة والأعمش: كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده ولا يحتاج إلى نار ولا مطرقة، وكان يعمل كل يوم درعاً ويبيعها بمئة ألف درهم، ولهذا قال رسول الله ﷺ : «أن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وأن نبي الله داود كان يأكل من كسب يده» انظر : ابن كثير، **البداية والنهاية** : ١٨/٢ .

(٢) نبي الله إدريس بن اليارد بن مهلائيل بن قينان بن الطاهر بن هبه، وهو شيث بن أدم، وإنما قيل له إدريس؛ لأنه أول من درس الوحي المكتوب، وهو أول نبي خط بالقلم، وقطع الثياب وخاطها. انظر : الطبري. **التاريخ** ١٧٢/١، المسعودي. **مروج الذهب** ٤٢/١، ابن الجوزي. **المنتظم** ٢٣٣/١، ابن كثير . **البداية والنهاية** ٩٩/١ .

(٣) الوصابي الحبيشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي الحبيشي (ت ٧٨٢هـ). **البركة في فضل السعي والحركة** -- القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٥٤هـ، ص ٦.

(٤) نبي الله نوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس، بينه وبين آدم عليه السلام ألف سنة، وولد عليه السلام بعد وفاة آدم بثمانمائة وست وعشرين سنة. فرض الله على نوح الصلاة والحلال والحرام، وأمره الله عز وجل بصنعة السفينة، فغرس شجرة فعظمت ثم قطعها، وجعل يعمل سفينة فيمرون عليه فيسخرون منه . وكان طول السفينة ألف ذراع، وكانت ثلاث طبقات: طبقة للدواب والوحش، وطبقة للأنس ، وطبقة للطير . ولما استقر نوح بمن معه فتحت أبواب السماء بماء منهمر فغطى السفينة ، ثم ارتفع الماء فوق الجبال فهلك كل ما على وجه الأرض من ذي روح وشجر، فلم يبق سوى نوح ومن معه . انظر : الطبري. **التاريخ**: ١٧٩/١، المسعودي. **مروج الذهب** ٤٣/١، ابن الجوزي . **المنتظم** : ٢٣٩/١ .

(٥) نبي الله زكريا بن آدي - وقيل ابن برخيا - من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام، عن ==

عليه السلام[1] كان أجيراً يرعى الغنم في مدين[2]، ومحمد نبي الله ورسوله عليه الصلاة والسلام[3] كان يرعى الغنم على قراريط لأهالي مكة .

كما أن بعضاً من صحابة رسول الله ﷺ كانوا عمالاً، فقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه[4]، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه[5]، وعثمان بن عفان

== أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «كان زكريا نجاراً» . أخرجه الإمام أحمد في **مسنده** : ٢٩٦/٢، ٤٠٥، ٤٨٥، وانظر : ابن الجوزي . **المنتظم** ٥/٢ .

(٦) الوصابي الحبيشي. **البركة في فضل السعي والحركة**، ص ٦، وعبد العزيز العمري. **الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول** ﷺ : ص٤٦ .

(١) نبي الله موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وقد عمل عند صاحب مدين «يثربي»، حينما قال له فيما قال الله عز وجل : ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾ [القصص : ٢٧] انظر : **تاريخ الطبري** : ٣٨٥/١، و**المنتظم** : ٣٣١/١، و**البداية والنهاية** : ٢٣٧/١ .

(٢) **البركة في فضل السعي والحركة** للوصابي الحبيشي، ص ٦.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «ما بعث الله نبيّاً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه وأنت فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، ج ٢ ص٧٨٩، حديث رقم ٢١٤٣ .

(٤) أبو بكر الصديق، عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي، ابن أبي قحافة، صاحب رسول الله ﷺ في الغار والهجرة، وخليفته من بعده، وأفضل الأمة بعد نبيها ﷺ ، وأول من أسلم من الرجال، شهرته تغني عن التعريف به. توفى سنة ١٣هـ . انظر ترجمته في : **الاستيعاب** ٩٦٣/٣. و**أسد الغابة** ٣٠٩/٣. و**الإصابة** : ١٩٦/٤ .

(٥) عمر بن الخطاب بن نفيل، القرشي العدوي ، أبو حفص الفاروق، خليفة خليفة رسول الله ﷺ، رضي الله عنه، شهرته تغني عن التعريف به، وهو أول من عرف بأمير المؤمنين، يضرب المثل بعدله . استشهد في ذي الحجة سنة ٢٣هـ . انظر ترجمته في : **الاستيعاب** ١١٤٤/٣، و**أسد الغابة** ١٤٥/٣. و**الإصابة** ٥٨٨/٤ .

رضي الله عنه[1]، بزازين[2]، وعلي بن أبي طالب رضى الله عنه[3] يسقي بالدلاء على ثمرات، وقال ابن عباس: لما أراد النبي ﷺ أن يبعث علياً بالراية قال: «أين علي؟» قالوا: هو في الرحا يطحن، قال: «وما كان أحدكم ليطحن»[4]. والزبير بن العوام رضى الله عنه[5] كان خيَّاطاً، وسعد بن أبي وقاص رضى الله عنه[6] كان يبري النبل.

---

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي الأموي ، أبو عبد الله ، ذو النورين، صهر النبي ﷺ على ابنتيه رقية وأم كلثوم، ثالث الخلفاء الراشدين، ورابع من أسلموا، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى. هاجر الهجرتين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة. تولى الخلافة سنة ٢٤هـ وتوفي سنة ٣٥هـ شهيداً. انظر ترجمته في: **الاستيعاب** ١٠٣٧/٣، و**أسد الغابة** ٥٨٤/٣، و**الإصابة** ٤٥٦/٤ .

(٢) البز : الثياب، والبزاز : بائع البز . أي بائع الثياب: انظر : **لسان العرب** ٣١٣/٥.

(٣) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، رضي الله عنه. ابن عم رسول الله ﷺ. رابع الخلفاء الراشدين. أول من أسلم من الصبيان، وصهر النبي ﷺ على ابنته فاطمة، وأبو السبطين الحسن والحسين، وأول خليفة من بني هاشم. شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد إلا تبوك، فإن رسول الله ﷺ خلفه على أهله. أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى. توفي سنة ٤٠هـ شهيداً. ترجمته في: **الاستيعاب** ١٠٨٩/٣. و**أسد الغابة** ٩١/٤، و**الإصابة** ٥٦٤/٤.

(٤) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في **مسنده** ج ١ ص٣٣٠ .

(٥) الزبير بن العوام، رضي الله عنه، حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. استشهد وهو تارك للحرب يوم الجمل سنة ٣٦هـ. ترجمته في: **الاستيعاب**: ٥١٠/٢، و**أسد الغابة** : ٢٤٩/٢، و**الإصابة** : ٥٥٣/٢ .

(٦) سعد بن أبي وقاص بن مالك القرشي الزهري ، رضي الله عنه . سابع سبعة في الإسلام ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة . وأحد الستة الذين جعل فيهم الشورى. مجاب الدعوة . أول من رمى بسهم في سبيل الله، وخال رسول الله ﷺ ، وجمع له رسول الله ﷺ أبويه فقال: «إرم فداك أبي وأمي» . ترجمته في: **الاستيعاب** : ٦٠٦/٢. و**أسد الغابة**: ٣٦٦/٢. و**الإصابة** ٧٣/٣.

وعمرو بن العاص رضى[1] الله عنه كان خرازاً ، وخباب بن الأرت[2]، كان حداداً، يصنع السيوف، وسلمان الفارسي رضى الله عنه[3] كان خواصاً يصنع الأقفاف من جريد النخل، والمهلب بن أبي صفرة رحمه الله[4] كان بستانياً، وأم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها[1] كانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل الله، وغيرهم الكثير.

---

(١) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ابن غالب القرشي، رضي الله عنه. صاحب رسول الله ﷺ قدم على النبي ﷺ مسلماً عام الفتح مع خالد بن الوليد، كان من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية. فتح مصر وتولى خلافتها ، ومات بها سنة ٤٢هـ . ترجمته في : **طبقات ابن سعد** : ٢٥٤/٤ . **والاستيعاب** : ١١٨٤/٣. **وأسد الغابة** : ١١٥/٤ . **وتهذيب الكمال** للمزي : ٧٨/٢٢ .

(٢) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، رضي الله عنه. شهد بدراً مع رسول الله ﷺ ، وكان قينا في الجاهلية. نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين، وصلى عليه علي بن أبى طالب رضى الله عنه. ترجمته في: **طبقات ابن سعد** : ١٦٤/٣ . **والاستيعاب** : ٤٣٧/٢ . **وأسد الغابة**: ٩٨/٢ . **وتهذيب الكمال** للمزي: ٢١٩/٨ .

(٣) سلمان الخير الفارسي ، أبو عبد الله ابن الإسلام، رضي الله عنه، وهو من أهل رامهرمز من أهل أصبهان من قرية يقال لها: جي، وكان أبوه دهقان أرضه - أي ملكهم - وكان على المجوسية ثم لحق بالنصارى، ورغب عن المجوس، ثم صار إلى المدينة، وكان عبداً لرجل من يهود فلما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً أتاه سلمان فأسلم وكاتب مولاه اليهودي فأعانه النبي ﷺ والمسلمون حتى عُتِقَ . ترجمته في : **طبقات ابن سعد** : ١٦/٦ . **والاستيعاب** : ٦٣٤/٢، **أسد الغابة** : ٣٢٨/٢. **وسير أعلام النبلاء** : ٥٠٥/١. **تهذيب الكمال** للمزي : ٢٤٣/١١ .

(٤) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي ، أبو سعيد الصفري. كان أميراً في قومه، وكان يقول : ما شيء أبقى للمُلْك من العفو، وخير مناقب الملوك العفو. ترجمته في : **طبقات ابن سعد**: ١٢٩/٧. **وسير أعلام النبلاء** : ٣٨٣/٤. **وتهذيب الكمال** للمزي : ٨/٢٩ .

(١) زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مُرَّة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدية، رضي الله عنها، أم المؤمنين. تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث، وهي التي أنزل الله عز وجل في شأنها : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧]، ماتت سنة عشرين من الهجرة، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضى الله عنهم جميعاً. ترجمتها في: **طبقات ابن سعد** : ١١٤/٨. **وتهذيب الكمال** للمزي: ١٨٤/٣٥ .

وهذه فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء أهل الجنة رضي الله عنها جاءته ﷺ شاكية من أثر الرحا في يدها، ومن إرهاقها وتعبها من عمل البيت، وعدم تحملها معاناة ذلك، فقد ورد في صحيح البخاري : أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحا فأتى النبي ﷺ سبي فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة فتقول فاطمة رضي الله عنها «فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم فقال : «على مكانكما» فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال: «ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني إذا أخذتما مضاجعكما تكبران أربعاً وثلاثين وتسبحان ثلاثاً وثلاثين وتحمدان ثلاثاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم»[1] .

عن أسماء بنت أبي بكر قالت : تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه قالت فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه[2] وأعجن ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق. قالت وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي على ثلثي فرسخ. قالت فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه فدعاني ثم قال إخ إخ ليحملني خلفه قالت فاستحييت وعرفت غيرتك فقال والله لحملك النوى على رأسك أشد من ركوبك معه. قالت حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقتني[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ١٣٥٨/٣ حديث رقم ٣٥٠٢ .

(٢) الخرز : خياطة الجلود . والغرب : الدلو الكبير ، أي أخيط وأسوي دلوه .

(٣) أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب السلام، باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق: ١١/٤-١٢ .

وكما يحث الإسلام على تعلم المهن والصناعات، فإنه يحرم أيضاً بعض المهن التي تسبب ضرراً للناس، فيحرم الإسلام ممارسة بعض الأعمال والمهن، التي فيها أذى للمسلم، أو استغلال لضعفه، مثل العمل في صناعة الخمور، ومؤسسات القمار، والكهانة، وغير ذلك من الأمور المحرمة، أو التي تضر بالمسلمين وغيرهم.

فبدون عمل الإنسان لا إنتاج ولا قيمة مضافة؛ فالله عز وجل سخر للإنسان الأرض والبحر والأنهار والفلك والأنعام .

قال عز وجل : ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[2].

ولكن هذه الموارد والطاقات المسخرة للإنسان لا قيمة لها ما لم تمسها يد الإنسان وذهنه، أي ما لم يضف إليها العمل الإنساني.

تعلم مهنة أو صنعة أو حرفة يقي من الفقر :

يعتبر الفقر مصيبة وآفة خطيرة توجب التعوذ منها ومحاربتها، كما أنه سبب لمصائب كثيرة، لذلك حذر الإسلام منه، وحرض على محاربته .

ويحث الإسلام الناس على السعي والعمل وهو يريد من المسلم أن يكون عضواً عاملاً ومنتجاً في المجموعة الإنسانية. قال عز وجل : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا**

(١) سورة إبراهيم ، الآيات : ٣٢، ٣٤ .

(٢) سورة الحج ، الآية : ٦٥ .

فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، أي إذا فرغت من العبادة فعليك بالجد في تحصيل العيش.

كما يقتضي العمل لطلب الرزق في الإسلام مسئولية وأمانة ملقاة على عاتق العامل، فيجب عليه أن يتقن العمل ويجيد الصنعة التي يقوم بها ، وما يقتضي ذلك من تحسين الإنتاج وإجادته، والوقوف على أفضل الطرق والوسائل الحديثة من تجديد وابتكار واختراع، واستخدام للعقل والمواهب واتباع للأساليب المطورة لزيادة الإنتاج واستمراره، حيث إن من مقتضى الإيمان إتقان العمل[2] .

والإسلام يفرق بين البطالة والتبطيل، فالبطالة هي القعود عن العمل في حالات الضرورة القاسية التي قد تصل بالإنسان إلى وضع يحل له فيه «المسألة» أي الاستجداء، ولكنه يحث العاطلين اضطراراً إلى احتراف أي مهنة ولو بدت حقيرة في نظر الناس، فان ذلك خير من المسألة. وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : «لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[3].

وبالمقابل فإن الإسلام يشجب التبطيل أي إدعاء البطالة نتيجة التخاذل أو الكسل، ويحكى أن رسول الله دخل ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال يا أبا أمامة ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة قال هموم لزمتني وديون يا رسول الله قال: أفلا أعلمك كلاماً إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك ، قال قلت : بلى يا رسول الله، قال: قل إذا

(١) سورة الجمعة ، الآية : ١٠ .

(٢) زيدان عبد الباقي. **العمل والعمال والمهن في الإسلام** -- القاهرة : مكتبة وهبة، ١٩٨٧م، ص١٩ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في **مسنده** : ١٦٧/١ .

أصبحت وإذا أمسيت : «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال»، قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عز وجل همي وقضى عني ديني .

وهنا أفهمه النبي ﷺ أن الجلوس في المسجد والركون إلى الكسل ليسا وسيلة لقضاء الدين وتفريج الهم وأمره بالعمل والسعي(١).

كما قدّم الإسلام حلولاً عملية واقعية يأخذ بها الناس ليدرأوا عن أنفسهم شبح الفقر والحرمان وما ينجم عنه، ومن ذلك :

١ - **العمل والسعي** : يعتبر الخبراء أن العمل أساس الاقتصاد الإسلامي، فهو المصدر الرئيس للكسب الحلال. والعمل مجهود شرعي يقوم به الإنسان لتحقيق عمارة الأرض التي استخلف فيها والاستفادة مما سخره الله فيها لينفع نفسه وبني جنسه في تحقيق حاجاته وإشباعها. وقد حث الإسلام على السعي والعمل من خلال: الامتنان بنعمة تسخير الأرض وما فيها، وطلب الاستفادة منها عبادةً لله عز وجل، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾(٣) وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لو أنكم تَوَكَّلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»(٤)، والشاهد في هذا الحديث : «أن الطير تغدو سعياً وحركة، أي تخرج من أول النهار خماصاً أي: جياعاً،

---

(١) أخرجه أبو داود في **سننه**، كتاب الصلاة، باب الاستعاذة : ١٢٤/٢، حديث رقم ١٥٥٥ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٠.

(٣) سورة الملك ، الآية : ١٥ .

(٤) أخرجه ابن ماجه في **سننه**، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين : ١٣٩٤/٢ حديث رقم ٤١٦٤.

وتروح، أي تعود آخر النهار بطاناً، أي: ممتلئة الأجواف»، وليكن شعار المسلم: «ابذر الحَبَّ ... وارجُ الثمار من الرب».

٢ - الحث على أنواع المهن والحرف ومن ذلك :

- **التجارة :** وقد اشتغل رسول الله ﷺ بالتجارة، وتاجر مع عمه ثم مع أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها واشتغل صحابته الكرام بذلك ومنهم : أبو بكر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم وغيرهم، وقد تواصى السلف فيما بينهم ومع تلامذتهم أن : «الزموا السوق» .

وقد امتن الله على أهل مكة بما هيأ لهم من أسباب جعلت بلدهم مركزاً تجارياً ممتازاً في جزيرة العرب ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا﴾(١)، وبهذا تحققت دعوة إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(٢).

وامتن الله على قريش إذ يسر لهم رحلتين تجاريتين في كل عام: رحلة إلى اليمن في الشتاء، ورحلة إلى الشام في الصيف، يسيرون فيها آمنين بفضل سدانتهم للبيت والكعبة، فليشكروا هذه النعمة بعبادة الله وحده، ورب البيت وصاحب الفضل عليهم ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾(٣). وقد هيأ الإسلام للمسلمين فرصة التبادل التجاري فيما بين أقطارهم وشعوبهم على نطاق عالمي واسع في كل عام ، وذلك في

(١) سورة القصص ، الآية : ٥٧ .

(٢) سورة إبراهيم، الآية : ٣٧ .

(٣) سورة قريش .

الموسم السنوي الإسلامي العالمي: موسم الحج إلى بيت الله الحرام، حين يأتون ﴿رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾[1]، ومن هذه المنافع التجارة، وقد روى البخاري أن المسلمين كانوا يتحرجون من التجارة في موسم الحج، يخشون أن يكون في هذا ما يشوب إخلاص نيتهم، أو يكدر صفاء عبادتهم، فنزل القرآن يقول في صراحة وجلاء[2]: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3].

وقد امتدحت السنة النبوية الشريفة التجارة والتجار قال رسول الله ﷺ: «التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة»[4].

- **الزراعة**: ففي صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه يقول رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة»[5].

وعند الترمذي وغيره من حديث جابر وسعيد بن زيد يقول رسول الله ﷺ: «من أحيا أرضاً ميّتة فهي له»[6].

- **الصناعات والحرف**: ففي البخاري يقول رسول الله ﷺ: «ما أكل أحدٌ

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٢) يوسف القرضاوي. **الحلال والحرام في الإسلام**، ص ٩٨ - ٩٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه في **سننه**، كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب: ٧٢٤/٢ حديث رقم ٢١٣٩.

(٥) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه: ٨١٧/٢ حديث رقم ٢١٩٥.

(٦) أخرجه النسائي في **سننه**، كتاب إحياء الموات، باب من أحيا أرضاً ميتة ليست لأحد: ٣٢٤/٥ حديث رقم ٥٧٢٧.

طعاماً قَطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده[١]». وقد سئل رسول الله ﷺ : «أي الكسب أفضل؟» قال : «عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور»[٢]. وقال رسول الله ﷺ : «لأَنْ يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه»[٣].

٣ - **اعتبار العمل والكسب من الصدقات ووسيلة إليها:** في الحديث المتفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه يقول رسول الله ﷺ : «على كل مسلم صدقة، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فيعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل، فيعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يفعل، قال: فليأمر بالخير أو قال: بالمعروف. قال: فإن لم يفعل، قال: فليمسك عن الشر، فإنه له صدقة»[٤].

٤ - **تربية صفوة البشر من الأنبياء على العمل لاتخاذهم قدوة :** فقد عمل الأنبياء في أعمال وحرف عدة ومنها رعي الأغنام، وصناعة الحديد، والتجارة، وغيرها، ومما ورد في ذلك من الأدلة : قول الرجل الصالح لموسى - عليه السلام - وهو من أولي العزم من الرسل : ﴿ **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ** ﴾[٥] ، روى أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «ما بعث الله نبياً إلا رعى غنماً»، قال له أصحابه : وأنت يارسول الله، قال : «وأنا كنت

---

(١) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده : ٢/٧٣٠ حديث رقم ١٩٦٦ .

(٢) أخرجه الحاكم في **المستدرك على الصحيحين** : ٢/١٢ .

(٣) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده : ٢/٧٣٠ حديث رقم ١٩٦٨ .

(٤) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة ٥/٢٢٤١ حديث رقم ٥٦٧٦.

(٥) سورة القصص ، الآية : ٢٧ .

أرعاها لأهل مكة بالقراريط»[١] . وفي البخاري أيضاً من حديث المقدام - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : «وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» [٢]. وهكذا فعل ورثة الأنبياء من العلماء فاشتهرت أسماء أمثال : البزَّاز، الجصَّاص، الخوَّاص، القطَّان، الزجَّاج، والنحاس، وغير ذلك.

٥ - عدم الاعتراف بالملكية التي لا يكون مصدرها العمل والطرق المشروعة : فحرّم الإسلام أعمال الغصب والسلب والسرقة والنصب والمقامرة والربا وما ينشأ عنها من مكاسب مالية، واتخذ إزاء ذلك العقوبات الرادعة، وفي ذلك إلزام لأفراد المجتمع في البحث عن الكسب المشروع، وأغلب ذلك لا يتأتى إلا عن طريق العمل.

٦ - الترهيب من التسوّل والاحتيال على الآخرين : ففي القرآن الكريم الحث على الاهتمام بالذين لا يتسوّلون وتحسس أحوالهم ورعايتهم : قال تعالى : ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾[٣]. وروى الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال النبي ﷺ : «لا يزال الرجل يسأل الناس، حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزْعَةُ لحم»[٤]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ : «من سأل الناس أموالهم تَكثُّراً فإنما يسأل جمراً، فليستقلَّ، أو ليستكثر»[٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في **صحيحه**، كتاب التجارات، باب الصناعات : ٢/٧٢٧ حديث رقم ٢١٤٩. والقراريط جمع قيراط وهو من أجزاء الدرهم .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٧٣ .

(٤) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثراً: ٢/٥٣٦ حديث رقم ١٤٠٥، ومزعة لحم : أي نتفة لحم ، علامة على ذله بالسؤال .

(٥) أخرجه مسلم في **صحيحه** ، باب كراهية المسألة للناس : ٢/٧٢٠، حديث رقم ١٠٤١ .

النهي عن التصدق على غير المحتاج : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مِرَّةٍ سوي»(١)، عن أنس بن مالك أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ يسأله فقال : «أما في بيتك شيء»، قال : بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء، قال : «ائتني بهما» فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال : «من يشتري هذين» قال رجل : أنا آخذهما بدرهم، قال : « من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثا» قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال : «اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به» فأتاه به فشد فيه رسول الله ﷺ عوداً بيده، ثم قال له: «اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما» فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً، وببعضها طعاماً، فقال رسول الله ﷺ : «هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة : لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع»(٢).

وحتى يستفيد المسلم من التوجيهات الشرعية التي سبق إيضاحها، لابد له من الحرص على الوقت، وعدم ضياعه هباء دون فائدة ، فقد حظي الوقت بنصيب وافر من العناية فيما نُقِلَ عن النبي ﷺ من الأقوال والأفعال .

فتؤكد السنة المطهرة أن الوقت من نعم الله على عباده وأنهم مأمورون بحفظه

---

(١) أخرجه ابن خزيمه في **صحيحه** ، باب ذكر تحريم الصدقة على الأصحاء الأقوياء : ٧٨/٤ حديث رقم ٢٣٨٧. قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر : ٣١٦/٤ : المِرَّةُ : القوَةُ والشدَةُ، والسَّوِىُ : الصحيح الأعضاء .

(٢) أخرجه أبو داود في **سننه**، كتاب الزكاة، باب ماتجوز فيه المسألة : ١٦٢/٢ حديث رقم ١٦٤١.

ومسئولون عنه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ»(١).

وقت المسلم أمانة عنده، وهو مسئول عنه يوم القيامة، هذا ما تؤكده السنة المطهرة، فهناك أربعة أسئلة سيُسألها العبد أمام الله عز وجل يوم القيامة، منها سؤالان خاصان بالوقت، فقد قال النبي ﷺ : «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيمَ أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»(٢). أي أن العبد في ذلك الموقف العصيب، يوم القيامة، لن تزول قدماه، ولن يبرح ذلك المكان، حتى يسأل ويحاسب عن مدة عمره بعامّة كيف قضاها، وعن فترة شبابه بخاصة كيف أمضاها، ذلك أن الشباب هو محور القوة والحيوية والنشاط، وعليه الاعتماد في العمل أكثر من غيره من مراحل العمر الأخرى، لذا فقد خُص بالسؤال عنه مستقلاً مع أنه داخل ضمن السؤال عن العمر وذلك لأهميته.

وكان النبي ﷺ من أشد الناس حرصاً على وقته، وكان لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى، أو فيما لا بد منه لصلاح نفسه، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف حال النبي ﷺ بأنه: «كان إذا أوى إلى منزله جزّأ نفسه دخوله ثلاثة أجزاء، جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزأ جُزأه بينه وبين الناس»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ: ٢٣٥٧/٥ حديث رقم ٦٠٤٩ .

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص : ٦١٢/٤ حديث رقم ٢٤١٦ .

(٣) أخرجه الطبراني في **المعجم الكبير** : ١٥٥/٢٢.

كما كان النبي ﷺ حريصاً على إعمار وقته بالعبادة والطاعة، فقد جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: «لم تصنع هذا يارسول الله وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً»(١).

وعن بشر بن رافع قال: حدثنا شيخ من أهل صنعاء يقال له أبو عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول لأبي وجدت في حكمة آل داود على العاقل أن لا يشتغل عن أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يصدقونه عيوبه وينصحونه في نفسه وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون لهذه الساعات واستجمام للقلوب وفضل وبلغة وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا في إحدى ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون عالماً بزمانه ممسكا للسانه مقبلا على شأنه(٢).

ومن الأقوال المأثورة في الحث على استثمار الوقت واقتناص فرصه، حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغَنَاءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»(٣).

كما كان ﷺ يأمر بالمبادرة إلى العمل قبل حلول العوائق فيقول: «بادروا بالأعمال

---

(١) أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب التفسير، باب قوله ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ ... ﴾ : ١٨٣٠/٤ حديث رقم ٤٥٥٧ .

(٢) مصنف عبد الرزاق ج ١١ ، ص ٢١، ٢٢ .

(٣) أخرجه الحاكم في **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الرقاق : ٣٤١/٤ حديث رقم ٧٨٤٦ .

سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر»[1].

فهو ﷺ يحث أمته على المبادرة بأداء الأعمال وعدم تأجيلها، ذلك أن حال الإنسان لا يخلو من وقوع المعوّقات من مرض أو هرم أو موت أو نحو ذلك مما يقف حائلاً دون أداء الأعمال أو إتمامها، فالمعوّقات كثيرة، والحاذق من بادر بأداء العمل قبل أن تحاصره العوائق.

وقد كان ﷺ يأمر بالتبكير في أداء الأعمال، فعن صخر الغامدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «اللهم بارك لأمتي في بكورها، وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم من أول النهار»، وكان صخر رجلاً تاجراً، وكان يبعث تجارته من أوّل النهار، فأثرى وكثر ماله[2].

وفي هذا المعنى أيضاً تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «باكروا طلب الرزق والحوائج، فإن الغدو بركة ونجاح»[3].

وعن فاطمة رضي الله عنها وأرضاها قالت: مرّ بي رسول الله ﷺ وأنا مضطجعة متصبّحة فحرّكني برجله ثمّ قال: «يا بنية قومي اشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس»[4].

---

(١) أخرجه مسلم في **صحيحه**، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن : ١١٠/١ حديث رقم ١١٨ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في **سننه**، كتاب التجارات، باب مايرجى من البركة في البكور : ٧٥٢/٢ حديث رقم ٢٢٣٦ .

(٣) أخرجه الطبراني في **المعجم الأوسط** : ١٩٣/٧ حديث رقم ٧٢٥٠ .

(٤) **تحفة الأحوذي** للمباركفوري، باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل : ٣٣٩/٤ .

ونلاحظ أن الله خفف صلاة الصبح وجعلها ركعتين فقط وجعل وقتها ضيقاً ليقوم المسلم مبكراً يغتنم هذه الساعات المباركة، كما مد الله في فسحة أول النهار فلم يطالب المسلم بالصلاة إلى منتصفه حتى يتفرغ لعمله طول النهار.

ويبارك القرآن الكريم انتقال القوى العاملة من مناطق الشدة إلى مناطق الرخاء، ويشجع الإنسان على أن يسعى في الأرض، ما دامت أرض الله واسعة ويلوم من رضوا لأنفسهم بالذل وعاشوا مستعبدين عاطلين فقراء : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾[1].

كما يحث الإسلام على إتقان العمل ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2] وقال رسول ﷺ : «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[3].

كما نجد أن الإسلام قد مجد العمل وأكبر شأنه، فلذلك نجد أن العمل يعتبر ضرباً من العبادة، وسبيلاً للتقرب إلى الله عز وجل ، يقول النبي ﷺ : «من بات كالاً من عمل يده بات مغفوراً له»[4] ويقول أيضاً ﷺ : «من بنى بنياناً من غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرساً في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجْرٌ جارٍ ما انتفع به من خلق الله تعالى»[5].

والمرأة والرجل سواء في هذا المضمار، فقد أعاد الإسلام للمرأة كرامتها الإنسانية بالنسبة للرجل، فهو يضعها مع الرجل موضع التكليف والمسئولية ويمنحها

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٩٥.

(٣) أخرجه أبو يعلى في **مسنده** : ٣٤٩/٧ حديث رقم ٤٣٨٦.

(٤) انظر : **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده : ٣٠٦/٤ في شرح حديث رقم ٢٠٧٥ .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في **مسنده** : ٤٣٨/٣ .

من الحقوق ما يمنحه للرجل مثل حق التملك، والبيع والشراء، وحق الهبة والتبرع كما أعطى لها حظاً من الميراث ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[1]، فإذا رغبت المرأة في العمل فينبغي أن يكون عملاً يليق بها، ويصون كرامتها، ويكون عملاً مفيداً ينفع أسرتها ومجتمعها .

صحيح أن الإسلام يوفر للمرأة حقها في النفقة من زوجها، إن كانت متزوجة، ومن أقاربها إذا لم تكن متزوجة، ولكنه مع ذلك يجيز لها أن تعمل وتكسب قوتها لكفاية نفسها وأسرتها ولرفع مستوى معيشتهم.

ويضع الإسلام في كل الأحوال شروطاً عامة لعمل المرأة، أهمها: المحافظة على حدود الشريعة التي تحتم عليها مراعاة الصيانة والشرف والعفة.

ولا يخلو مجتمع من العاجزين عن العمل والجهاد والكسب من كدّ اليد والاعتماد على النفس من أمثال الأرامل واليتامى والشيوخ وأصحاب العاهات المعوّقة، وكذلك الذين لا يكفيهم دخلهم من العمل أو القادرين الذين لم يتيسر حصولهم على عمل، وهؤلاء جميعاً لم يتركهم الإسلام هملاً وعرضة لآفة الفقر والحرمان تسحقهم وتلجئهم مكرهين إلى ذل السؤال والتكفف، بل عمل كفالتهم من قِبَلِ المجتمع المسلم الذي ينتمون إليه ويُحسَبون عليه، إذن فقد حث الإسلام على أن ينتفع من لم يجد عملاً أو عجز عن العمل لإعاقة أو شيخوخة أو مرضٍ من الذين يعملون ويتكسبون بعملهم من خلال مصارف الزكاة والصدقات المفروضة.

مما سبق يتضح أن الإسلام قد وضع الأدوية المتعددة لداء الفقر، وبيَّن الحلول المتنوعة لمعضلة الحاجة والحرمان، ولم يكن ذلك مجرد مبادئ نظرية يتم الحديث عنها بعيداً عن صلاحيتها للواقع، بل إن المسلمين قد طبقوها وأقاموها في مجتمعاتهم.

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٣٢ .

الفصل الثاني : الألقاب والكنى وارتباطها بالحرف والصناعات والمهن بغرب شبه الجزيرة العربية

التمهيد :

كانت شبه الجزيرة العربية التي تتمتع بموقع إستراتيجي بين ثلاث قارات كبرى، وتقع في النصف الشمالي للكرة الأرضية موطناً لكثير من الحضارات ومهداً للرسالات السماوية والرسل.

والمملكة العربية السعودية تشكل القسم الأكبر من شبه الجزيرة العربية، وتتألف من سهول ضيقة على ساحل البحر الأحمر وهي : (سهول تامة)، تليها، نحو الشرق، سلاسل جبلية تمتد على طول البلاد وهي : (جبال الحجاز، وعسير ويتعدى أقصى ارتفاعها ٢٠٠٠م) ، ثم صحارى وهضاب صخرية في الوسط (٩٠٪ من المساحة العامة)، أكبرها صحراء النفود في الشمال والربع الخالي في الجنوب. أما في الشرق، وعلى طول ساحل الخليج العربي، فتمتد سهول ساحلية واسعة .

وتشغل المملكة العربية السعودية أربعة أخماس شبه جزيرة العرب بمساحة تقدر بأكثر من ٢,٢٥٠,٠٠٠ كيل مربع .

وتتنوع تضاريس المملكة نظراً لاتساع مساحتها، فعلى امتداد البحر الأحمر سهل تهامة الساحلي الذي يبلغ طوله حوالي ١١٠٠ كيل، ويتسع عرضه ليبلغ ٦٠ كيلاً في الجنوب، ويضيق كلما اتجه شمالاً عند خليج العقبة، وترتفع إلى الشرق من هذا السهل سلسلة جبال السروات الشاهقة، والتي يتراوح ارتفاعها ما بين ٩٠٠٠ قدم في الجنوب، ويقل الارتفاع تدريجياً كلما اتجهت شمالاً، لتصل إلى ٣٠٠٠ قدم، وتنحدر منها أودية كبيرة تتجه شرقاً وغرباً، مثل : وادي جازان، ووادي نجران،

ووادي تثليث، ووادي بيشة، ووادي الحمض، ووادي الرّمة، ووادي ينبع، ووادي فاطمة، ويلي هذه السلسلة من جهة الشرق هضبة نجد ومرتفعاتها التي تنتهي شرقاً بكثبان الدهناء، وصحراء الصمان، وجنوباً بمنطقة يتخللها وادي الدواسر، وتحاذي صحراء الربع الخالي، ومن الشمال تمتد سهول نجد إلى منطقة حائل، حتى تتصل بصحراء النفود الكبرى ، ثم بحدود العراق والأردن ، كما يوجد بها بعض المرتفعات الجبلية مثل : جبال طويق، والعارض، وأجا، وسلمى. أما صحراء الربع الخالي فهي تشكل الجزء الجنوبي الشرقي من المملكة، وهي منطقة صحراوية كبيرة تقدر مساحتها بـ ٦٤٠٠٠٠ كيل مربع تتكون من كثبان رملية وسبخات . أما السهل الساحلي الشرقي والذي يبلغ طوله حوالي ٦١٠ أكيال، فهو يتألف من سبخات ملحية ومناطق رملية .

وقد ازدهرت فيها حضارة مدين، حضارة قوم النبي شعيب عليه السلام[١]، التي عاش فيها موسى عليه السلام[٢] عشر سنوات ، قبل أن يبعث رسولاً إلى فرعون مصر.

---

(١) هو نبي الله عليه السلام : شعيب بن عيفا بن نويب بن مدين بن إبراهيم، وقد أرسله الله عز وجل إلى أمتين : أهل مدين، وأصحاب الأيكة، وكانت مدين دار شعيب، والأيكة خلف مدين. وكان سنه عشرين سنة عندما أرسل لقوم مدين الذين كانوا يبخسون في المكاييل والموازين، فدعاهم إلى التوحيد، ونهاهم عن التطفيف، وقد كان يقال له : خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه، فلما طال تماديهم بعث الله عليهم حرّاً شديداً فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا أجواف البيوت، فدخل عليهم فخرجوا إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة فأظلتهم من الشمس، فوجدوا برداً ولذة، فنادى بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم، فذلك عذاب يوم الظلة . انظر : **المنتظم** لابن الجوزي : ١/٣٢٤ - ٣٢٥ .

(٢) سبقت ترجمته .

وفي العلا كانت حضارة ثمود قوم النبي صالح عليه السلام[1]، والتي لا تزال آثارها موجودة حتى اليوم، في المنطقة المعروفة باسم مدائن صالح، وفي نجران نجد الأخدود، الذي ذكر في القرآن الكريم عن أصحاب الأخدود.

وفي هذه الجزيرة التي كانت ممراً تجارياً مهماً وطريقاً للقوافل، أنزل الله القرآن على سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وانتشرت رسالة الإسلام السمحة في قلب شبه الجزيرة العربية، وترامت منها إلى سائر أرجاء العالم، حتى

(١) قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١] . وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل: ٤٥] . وقال سبحانه: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٧٣] . فهذه الآيات الكريمات تدل على أن صالحاً كان نبياً ورسولاً أرسله الله عز وجل إلى قوم ثمود ليدعوهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، ولا يشركوا معه أحداً . قال الطبري : «يقول تعالى ذكره وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا فقال لهم يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة فما لكم من إله غيره يستوجب عليكم العبادة ولا تجوز الألوهة إلا له هو أنشأكم من الأرض يقول هو ابتدأ خلقكم من الأرض» . انظر : **تفسير الطبري** ج١٢ ص٦٢ . عن نوف الشامي أن صالحاً النبي ﷺ من العرب لما أهلك الله عاداً وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها فاستخلفوا في الأرض فانتشروا ثم عتوا على الله فلما ظهر فسادهم وعبدوا غير الله بعث الله إليهم صالحا وكانوا قوماً عرباً وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم موضعاً وكانت منازلهم الحجر إلى قرع وهو وادي القرى ثمانية عشر ميلا فيما بين الحجر إلى الحجاز فبعثه الله إليهم غلاماً شاباً فدعاهم إلى الله حتى شمط وكبر ولا يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون فهلكت عاد وثمود ومن كان منهم من تلك الأمم وكانوا من ولد لاوذ بن سام بن نوح ولم يكن بين نوح وإبراهيم نبي قبله يعني قبل إبراهيم إلا هود وصالح . انظر : **المستدرك على الصحيحين** ج ٢ ص ٦١٦ .

وصلت إلى آفريقيا وآسيا وجزء من أوربا على مدى عصور ازدهار الدولة الإسلامية، حتى أصبح المسلمون في الوقت الحاضر حوالي المليار والنصف نسمة .

ومرت مئات من السنين ظهرت فيها دول، وزالت دول، وقام المسلمون بدورهم الحضاري التاريخي، الذي عبرت عليه الحضارة الإنسانية الحديثة من عصورها المظلمة، وانتشر الإسلام في شتى بقاع الأرض.

كانت بلاد شبه الجزيرة العربية تعيش نمطين من الحياة تجسد بحياة البوادي والمدن، والتي كان بينهما علاقة قائمة، حيث استمدت البوادي سماتها الحضارية من حياة الحضر، وزودت البوادي بدورها المجتمع الحضري بموجات بشرية متجددة كانت في كل مرة تحمل إليها دماً جديداً، وقد أسهم الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية بإيجاد هذا المجتمع، وذلك من خلال موقعها بين القارات المعروفة آنذاك، وهي آسيا وأوربا وأفريقيا، ما جعلها همزة وصل بين الأمم وواسطة العقد بين الحضارات الأولى والتقاء طرق القوافل التجارية القديمة «بحرية - برية»، الأمر الذي جعل الطابع التجاري يغلب على حضارات العرب. أضف إلى ذلك، ما خلق الله لشبه الجزيرة العربية من طبيعة مختلفة التضاريس والمناخ كان لها دور أساس في حركة التنقل الداخلي في شبه الجزيرة، حيث كانت حالة المناخ من قبل ألفي سنة أو ثلاثة تختلف عما نعرفه اليوم.

كما أن طبيعة التضاريس التي أوجدها الله في شبه الجزيرة العربية جعلت سكانها يعيشون حياة خاصة، وقد أفرز هذا الواقع نمطين من الحياة في شبه الجزيرة العربية

النمط الحضري: الذي فرض نوعاً من الاستقرار، حيث وفرت لسكانها مستلزمات الحياة من زراعة معروفة وتمدين، ما مهد الطريق لإقامة علاقات أكثر

تطوراً وتنظيماً في التعامل الخارجي والانتظام الداخلي، وأنشأ المدن التي بدأت تشكل بدايات بنية اجتماعية وسياسية تختلف من حيث الشكل عمّا هو سائد في المناطق الصحراوية التي يعيش فيها البادية، فمعروف أن الحضر تختلف طباعهم باختلاف المناطق التي يعيشون فيها، وظروف الحياة التي تحيط بهم، فمنهم من عمل بالزراعة والصناعة في المدن الداخلية، ومنهم من عمل بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ، والتجارة الخارجية، وركوب البحر في المناطق الساحلية .

أما النمط البدوي الذي اختلف من حيث المظهر عن حياة الحضر، إذ كان قوام الحياة البدوية يعتمد على الرعي والتنقل، ما جعل القبائل تجوب الصحراء طلباً للماء والكلأ برعي مواشيها وإبلها، التي فرضت بتداعياتها أشكالاً شتى من الممارسات، وكان عامل الجدب والخصب يؤثر في حياة البدو والحضر على السواء، من حيث الاستقرار وتوفير الأمن، فنزول الأمطار يجلب الخصب وانتشار المراعي في الصحراء، كما أن توفير المياه في الآبار والعيون يساعد على الزراعة وانتشار المزارع حول المدن.

كما أن العلاقة بين الحاضرة والبادية كانت تتأثر بنزول المطر في حالة الخصب، فيعم الأمن والاستقرار بين الحاضرة والبادية . أما في حالة الجدب تعم الحروب والنهب والسلب وعدم الاستقرار .

وكان سكان الحاضرة يقومون بالزراعة، وخاصة التمور والحبوب، وصناعة الحلي والأواني والملابس وغيرها.

كما كان سكان البادية يقومون بتربية الإبل، وهي الوسيلة المهمة في عملية التنقل من مكان إلى آخر، وخاصة لأداء مناسك الحج والعمرة والزيارات المتبادلة بين سكان المدن مهما بعدت مسافاتها، وتعتبر الإبل أيضاً وسيلة لنقل الجيوش والمعدات في أثناء الحروب .

كما تقوم البادية بتربية الماشية والاستفادة من منتجات الألبان بتوفير السمن والألبان المجففة، والقيام بصناعة المفروشات، وبيوت الشعر، ونتيجة لذلك قامت حول المدن أسواق تجارية عرفت بأسماء المدن، أو بأسماء الأيام التي تعقد فيها مثل: «سوق الجمعة»، أو «سوق الخميس» أو «سوق الاثنين»، وفي هذه الأسواق تقوم عملية التبادل التجاري بين سكان المدن وسكان البادية .

فالبادية تقوم بشراء ما تحتاجه من هذه الأسواق من تمور وحبوب وملبوسات وحلي وأوانٍ وغيرها، بينما يقوم سكان المدن بشراء ما يحتاجونه من مفروشات صوفية وسمن وألبان مجففة وأغنام للاستفادة من لحومها، وهذه التجارة لن تتوافر ما لم يوجد أشخاص وهبوا أنفسهم للقيام بتوفير هذه المنتجات لبيعها للآخرين ممن يحتاجونها، والاستفادة من مدخولها المادي، وتوفير حياة سعيدة مستقرة لهم ولذويهم، وهذه الصناعات فرضت على القائمين عليها ألقاباً خاصة بهم بنوع الحرفة والصنعة التي يقومون بها .

ونجد أن تأثير الألقاب في مناطق الحضر أكثر منه في مناطق البدو، حيث يكثر في مناطق الحضر أصحاب المهن والصناعات والحرف، ولذلك فإن إطلاق الألقاب على أصحاب هذه المهن أمر ضروري ومهم للتعريف بهم، وسهولة وصفهم . أما في المناطق البدوية فإطلاق الألقاب غالباً ما يكون باسم القبيلة أو الفخذ .

وقد اشتهر الإقليم الغربي من شبه الجزيرة العربية بقلة الموارد وضعف الإمكانات مقارنة بغيره من بلاد العالم القديم كالشام ومصر واليمن والعراق وفارس وغيرها، فقد كانت تختلف الموارد فيه من مكان لآخر، ففي زمن الرسول ﷺ كانت التجارة تغلب على مكة، بينما كانت الزراعة والصناعة تغلب على الطائف، كما تغلب الزراعة على المدينة، ولم تكن تخلو هذه البلاد من حرفيين، أما بقية بلاد الحجاز

التي تنتشر فيها القبائل المختلفة فكان الغالب عليها الرعي، فضلاً عن بعض النشاطات الاقتصادية في حدود ما تسمح به البيئة[1] .

وقد تميزت بلاد الحجاز عن غيرها من بلاد العرب من قديم الزمان بعدم الخضوع للنفوذ الأجنبي، فقبل عهد الرسول ﷺ كانت هناك دولتان هما الفرس والروم كانتا تتجاذبان النفوذ في بلاد كثيرة، حيث لم تخل أجزاء من بلاد العرب من آثار هذا التنافس، وبعد هاتين الدولتين ، ظهرت دول أخرى سيطرت على أجزاء كثيرة من العالم ومنها العالم العربي، وبحمد الله لم تدنس أقدام المستعمر أرض شبه الجزيرة العربية، فلقد سيطر الانجليز والفرنسيون في العصر الحديث على غالبية المناطق العربية، وكانت المناطق التي تحتضنها المملكة العربية السعودية في الوقت الحاضر خارجة عن نطاق سيطرة تلك الدول الاستعمارية بالرغم من كل محاولاتها المتعددة، وإنها حماية الله لهذه الأرض الطاهرة من أن تطأها أقدام المستعمر البغيض .

وكانت للعادات الاجتماعية السائدة بين سكان الحجاز بفئاتهم المختلفة من بدو وحضر تأثير كبير على الحياة في الحجاز، حيث إن هذه العادات تتحكم في تصرفات الأفراد، وبالتالي توجه المجتمع إلى سلوكات معينة .

فكراهية العرب للصناعة واحتقارهم للصانع - خاصة في الجاهلية - قلل من الصناع، وجعل هذه الحرف حكراً على أناس أرقاء أو مهاجرين من أماكن أخرى.

فقد كانت للحرب في الجاهلية بعض الأعراف والعادات التي ساروا عليها وأثرت على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، فكانوا يحتقرون بعض المهن والحرف،

(١) عبد العزيز بن إبراهيم العمري . **الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ** ٠- ط٣ ٠- الرياض : دار إشبيليا للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ص١٤.

ويبتعدون عنها، ويقبلون على بعضها، فنجد البدو يفضلون الرعي والتجارة، ويأنفون من الزراعة، في حين يقبل الحضر على الزراعة والصناعة .

أما الصناعة فتختلف، فمنها ما هو مقبول عندهم، كالغزل والنسيج، حيث كان يمتهنها الكثير من البدو والحضر ، وكانوا يحتقرون مهنة الحدادة، ويطلقون على من يمتهن مهنة الحدادة (القين) وهي في اللغة : العبد الرقيق .

وقد استغل غير العرب نفور العرب واحتقارهم للصناعات بأن امتهنوها، وحققوا من وراء ذلك أموالاً طائلة .

فكان ذلك دافعاً لرسول الله ﷺ إلى ترغيب الناس في العمل والكسب، محاولاً بذلك تحطيم هذه العادات السيئة، والعمل على احترام العاملين والصناع.

فكان ﷺ يطبق بنفسه بعض الأمور التي تخالف مفهوم العرب من النفور من الحرف وبمن يمتهنها، فقبوله لدعوة خياط في المدينة دعاه للطعام كان له أكبر الأثر في تغيير نظرة الناس المحقرة للصناع[1] .

ومن منطلق سلوك الرسول في تغيير مفاهيم الناس الخاطئة ، فإن رسول الله ﷺ دفع ابنه إبراهيم إلى زوجة أبي سيف[2] قين[3] المدينة كي ترضعه، فكان ﷺ

---

(١) عن أنس رضي الله قال : إن خياطاً دعا النبي ﷺ لطعام صنعه، فَذَهبتُ مع النبي ﷺ فقرب خبز شعير، ومرقاً فيه دباء وقديد، فرأيت النبي ﷺ يتبع الدباء من حوالي القصعة، فلم أزل أحب الدباء بعد يومئذ . أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الأطعمة، باب المرق : ٢٠٧٢/٥، حديث رقم ٥١٢٠ .

(٢) أبو سيف القين - بفتح القاف وسكون المثناة التحتانية بعدها نون، وهو الحداد كان من الأنصار، وهو زوج أم سيف مرضعة إبراهيم ولد النبي ﷺ. ترجمته في **الإصابة في تمييز الصحابة** لابن حجر العسقلاني، ومعه الاستيعاب لابن عبد البر : ٩٩/٤ .

(٣) القين : هو الحداد .

يأتي إلى منزل أبي سيف الحداد وهو ينفخ من كيره، وقد امتلأ البيت بالدخان[1].

كما أن رسول الله ﷺ كان يعمل بيده الشريفة مع أصحابه الكرام في بناء مسجده الشريف بالمدينة المنورة، حيث اشترك في بنائه كل من حضر البناء من المهاجرين والأنصار ، وعلى رأسهم رسول الله ﷺ وصحابته الأخيار، وكان رسول الله ﷺ ينقل الحجارة واللبن ويناولها للبنائين من المهاجرين والأنصار، وهو يردد قائلاً :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخره فاغفر للأنصار والمهاجره[2]

وكان الأنصار والمهاجرون في نفس الوقت ينقلون الحجارة واللَّبِن ويقول بعضهم لبعض استحثاثاً للهمم :

لئن قعدنا والرسول يعمل لذاك منا العمل المضلل[3]

وكثير من ألقاب الناس مرتبطة بالمهن والحرف والصناعات التي كانوا يعملون بها. وفي منطقة الحجاز نجد بعض المهن اقتصرت على بعض المناطق دون غيرها، كالزمزمي، فلا تجد مثل هذه الصنعة إلا في مكة المكرمة، ونائب الحرم، ومطوف،

(١) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ولد لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي إبراهيم» ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين، يقال له أبو سيف، فانطلق يأتيه واتبعته فانتهينا إلى أبي سيف، وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخانا، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله ﷺ، فقلت : يا أبا سيف أمسك جاء رسول الله ﷺ، فأمسك فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمه إليه، وقال : «ما شاء الله أن يقول» فقال أنس : لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله ﷺ، فدمعت عينا رسول الله ﷺ ، فقال : «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون» . أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، ج ٤ ص ٧٠ .

(٢) محمد بن عبد الله الزركشي . **إعلام الساجد بأحكام المساجد**؛ تحقيق : الشيخ أبي الوفا مصطفى المراغي، ط. بدون ٠- القاهرة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٢٢٣ .

(٣) أبو محمد عبد الملك، ابن هشام. **السيرة النبوية**؛ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض٠- ط١ ٠- الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٢، ص ٩٥.

وهي ألقاب مرتبطة بمهن لا توجد إلا في مكة المكرمة، وكان أهل مكة على مدار تاريخهم أهل حرف وصناعات، فلا يكاد يرى فيهم عاطل لا عمل له ولا مهنة يكتسب منها قوته وقوت من يعول، وكثير من أسماء العائلات في منطقة الحجاز بالرغم من انتسابها إلى بعض المهن شأنها شأن أي منطقة أخرى إلا أنها اشتهرت دون غيرها، فكانوا ينسبون أو ينادون بأسماء حرفهم وصناعاتهم التي عرفوا بها .

كما تتنوع ألقاب وكنى كثير من العائلات في الحجاز حسب عدة اعتبارات منها ما يتبع المهنة أو أسماء المدن أو البلدان التي قدمت منها.

ومن أهم الاعتبارات في لقب أو كنية العائلة : المدينة أو البلدة أو القرية، أو القبيلة، أو العشيرة التي جاء منها رب العائلة مثل الزهراني، والغامدي، والقرني، والبيشي، والجيزاني، وغير ذلك .

وجاءت بعض الألقاب والكنى من الصنعة والحرفة أو المهنة التي كان يعمل بها أجداد العائلة مثل الصباغ والنحاس والسروجي نسبة إلى صنع سرج الخيل والعطار بائع الأعشاب والبخور والنجار والقزاز والحلواني نسبة لصانع الحلويات والكعكي، والفران، والقطان، وجميع هذه العائلات لا ترتبط بالقربى إلا في تشابه العمل والمهنة فقط.

وارتبط اللقب أو الكنية بالنسبة لبعض العائلات بالوظيفة الدينية مثل: الإمام والخطيب والمؤذن والقاضي والمفتي والشيخ، ومن العائلات ما يعود لتسلم وظيفة إدارية عالية في الدولة مثل : وبيت المال، والبيك والباشا، والأفندي، والكاتب، والكتبخانة، والدفتردار، والخازندار، وأغلبها جاءت مع الحكم العثماني للمنطقة .

ومن يستعرض ألقاب بعض العائلات يجد أن منها ما يتعلق بالطعام أو المأكولات مثل : عدس وفوال .

ومنها: ألقاب مستمدة من البلدان التي قدم منها رب العائلة مثل: الحجازي، والنجدي، والحساوي، واليماني، والمغربي، والتونسي، والبغدادي، والمصري، والبنجابي، والسندي، والباكستاني، والهندي، والبخاري، والتركستاني، والطشقندي، الداغستاني، والأفغاني ، وغير ذلك .

وللحرف والمهن التي يمتهنها أهل الحجاز آداب مشتركة ، ذكرها عبد الوهاب أبو سليمان، وهي :

١ - تحسين النية بقضاء حاجات الناس، وإعانتهم عليها، وتيسير السبل للتوصل إليها .

٢ - الابتعاد عن المغالاة في الأجور بطلب زيادة مُبالَغٍ فيها، فإنها من قبيل الظلم المحرم .

٣ - التوقي من الحلف والأيمان لترويج البضاعة في سبيل إقناع صاحب الحاجة .

٤ - الحذر من الفسق، والخداع في الصنعة، والبيع بكل صوره وأشكاله .

٥ - الالتزام بالآداب الإسلامية، والحرص عليها في التعامل، وبخاصة السماحة في البيع والشراء[1] .

الخاتمة :

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان، وأكرمنا بالإسلام، وجعلنا من أمة سيد الأنام سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، وتفضل علينا وجعلنا من أهل البلد الحرام .

وبفضله وإحسانه قد انتهيت من بحثي هذا «الألقاب والكنى وعلاقتها بالمهن والصناعات والحرف بغرب شبه الجزيرة العربية عبر العصور» الذي تعرضت فيه

(١) عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان . **العلماء والأدباء والوَرّاقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري** ٠- ط١ ٠- الطائف : نادي الطائف الأدبي ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٢٨.

عن إيضاح مدى ارتباط مسميات وألقاب وكنى بعض الأسر الحجازية بالمهن والحرف التي كانت تقوم بها هذه الأسر، وكلنا نعرف تلك الأسر حق المعرفة، والكثير منهم في الوقت الحاضر يحمل اللقب فقط، ولكن لا يؤدي المهنة التي كانت سبباً لتسمية آبائه، فتجد من هؤلاء الأستاذ الجامعي، والطبيب، والمهندس، والمعلم، والضابط، والجندي، والتاجر، وغيرهم الكثير، وجميعهم يقوم بالخدمة في هذا الوطن المعطاء بكل سعة ورحب، والكثير منهم يفخر بأن أجداده كانوا يقومون بتلك المهن، إيماناً منهم بأن الإسلام حثنا على العمل وعدم التواكل، فإذا عزف الناس عن امتهان مهنة من المهن، ولم يوجد من يؤدي هذه المهنة في المجتمعات ترتبك الحياة، فالحياة لابد لها من حرفيين وأصحاب مهن في كل ما يحتاجه البشر في مناحي حياتهم .

راجية من الله عز وجل أن يكون فيه ما يفيد، وأسأله جل شأنه أن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعلنا ممن ينتفع بما يقدم، وأن يهدينا سبل الرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد أشرف خلق الله، وعلى آله وصحبه، ومن صار على هديه إلى يوم الدين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

١ - **القرآن الكريم** .

٢ - **الأحكام في حقوق الإنسان في الإسلام** لعبد العزيز محمد سندي ٠- ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .

٣ - **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه** لأبي عبد الله محمد بن إسحاق، ابن العباس الفاكهي؛ تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ٠- ط٤ ٠- مكة المكرمة : مكتبة الأسدي ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٤ - **الاستيعاب** لابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الجليل، ١٤١٢هـ.

٥ - **أسد الغابة** لابن الأثير ٠- القاهرة : دار الشعب، ب . ت .

٦ - **الإصابة في تمييز الصحابة** لابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)؛ تحقيق علي محمد البجاوي ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الجيل، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٧ - **إعلام الساجد بأحكام المساجد** لمحمد بن عبد الله الزركشي؛ تحقيق أبي الوفا مصطفى المراغي، ط. بدون ٠- القاهرة، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م

٨ - **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى: بإتمام الكلام** لعبد الله بن محمد الغازي المكي الحنفي (ت ١٣٦٥هـ) ؛ تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش٠- الرياض : مسودات نشر دارة الملك عبد العزيز.

٩ - **الاقتصاد الإسلامي مذهباً ونظاماً : دراسة مقارنة** لإبراهيم الطحاوي .

١٠- **الاقتصاد الإسلامي** لمحمد عبد المنعم عفر ٠- ط١ ٠- جدة : دار البيان العربي، ١٩٨٥م .

١١- **الأنساب** لعبد الكريم السمعاني: تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٢- **البداية والنهاية** لابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير لأبي الفداء (٧٧٤هـ) ٠- بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٦٦م.

١٣- **البركة في فضل السعي والحركة** لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي الحبيشي (ت ٧٨٢هـ) ٠- القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٣٥٤هـ .

١٤- **تاج العروس من جواهر القاموس** لمحمد مرتضى بن محمد الواسطي الزبيدي؛ تحقيق إبراهيم الترزي ٠- بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

١٥- **تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)**: الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ) ٠- بيروت : دار القاموس الحديث للطباعة، ب.ت.

١٦- **التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم** لمحمد طاهر الكردي (١٤٠٠هـ) ٠- ط١، ١٣٨٥هـ.

١٧- **تحفة الأحباب في بيان اتصال الأنساب** - مخطوط، توجد مصورته بمكتبة الشيخ عبد الملك بن دهيش .

١٨- **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي** لعبد الرحمن المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ) ؛ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف؛ نشر محمد عبد المحسن الكتبي، ب . ط، ب.ت.

١٩- **تلبيس إبليس** لعبد الرحمن جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي ٠- القاهرة : إدارة الطباعة المنيرية - مكتبة الدعوة الإسلامية، ب.ت.

٢٠- **تهذيب الكمال** : للمزي ، يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف (٧٤٢هـ)؛ تحقيق بشار عواد معروف ٠- ط١ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

٢١- **الجامع الصحيح** = سنن الترمذي: الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩هـ)؛ تحقيق أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم بن عطوة ٠- ط٢ ٠- القاهرة: مكتبة مصطفى الحلبي، ١٣٩٨هـ.

٢٢- **الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول** ﷺ : عبد العزيز بن إبراهيم العمري ٠- ط٣ ٠- الرياض : دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

٢٣- **الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به : دراسة تاريخية وميدانية** لعبد الملك بن عبد الله بن دهيش ٠- مكة المكرمة، ١٤١٥هـ .

٢٤- **الحلال والحرام في الإسلام** ليوسف القرضاوي ٠- ط٢ ٠- دمشق : المكتب الإسلامي، ١٣٨٢هـ.

٢٥- **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية** لابن هشام ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي؛ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ٠- بيروت : دار المعرفة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

٢٦- **سنن الدارقطني** للدارقطني، علي بن عمر (٣٨٥هـ)٠- باكستان: نشر حديث أكاديمي.

٢٧- **سنن الدارمي** للدارمي، عبد الله بن بهرام (٢٥٥هـ) ٠- بيروت : دار الفكر، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٢٨- **سنن أبي داود** لأبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق ؛ مراجعة محمد محيى الدين عبد الحميد ٠- بيروت : دار الفكر، ب.ت .

٢٩- **سنن سعيد بن منصور** لسعيد بن منصور (٢٧٧هـ) ؛ تحقيق سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميّد ٠- ط١ ٠- الرياض : دار الأصمعي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٣٠- **السنن الكبرى** لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ) ٠- ط١ ٠- الهند : مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ١٣٤٧هـ.

٣١- **سنن النسائي** لأحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ): عناية عبد الفتاح أبو غدة ٠- حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٣٢- **سنن ابن ماجه** لابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ)؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٠- بيروت : دار الفكر، ب.ت.

٣٣- **سير أعلام النبلاء** للذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط ٠- ط١ ٠- مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٣٤- **السيرة النبوية** لأبي محمد عبد الملك، ابن هشام؛ تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض ٠- ط١ ٠- الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م

٣٥- **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** لتقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي٠- بيروت : دار الكتب العلمية ، ب.ت.

٣٦- **الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)** لإسماعيل بن حماد الجوهري؛ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ٠- ط٢ ٠- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٤٠٢هـ.

٣٧- **صحيح البخاري** للبخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (٢٥٦هـ)؛ تحقيق مصطفى ديب البغا ٠- ط٤ ٠- دمشق : دار ابن كثير، ١٤١٠هـ.

٣٨- **صحيح ابن حبان** لابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد ابن أبي حاتم التيمي، ابن حبان (٣٥٤هـ)؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط ٠- ط٢ ٠- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.

٣٩- **صحيح ابن خزيمة** لابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ)؛ تحقيق محمد مصطفى الأعظمي؛ نشر المكتب الإسلامي ب. ط ، ب.ت.

٤٠- **صحيح مسلم** لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٠- ط١ ٠- القاهرة : مصطفى البابي، ١٣٧٤هـ.

٤١- **صور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري** لعبد الله محمد أبكر٠- ط١ ٠- بيروت : مؤسسة علوم القرآن ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م

٤٢- **الطبقات الكبرى** للزهري، محمد بن سعد بن منيع (٢٣٠هـ) ٠- دار بيروت للطباعة والنشر ب. ط ، ب.ت.

٤٣- **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الأول المسمى بـ (المقدمة)** لعبد الرحمن بن خلدون المغربي ٠- ط٢ ٠- بيروت : مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ، ١٩٦١م.

٤٤- **العلماء والأدباء والوَرّاقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري** لعبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان ٠- ط١ ٠- الطائف : نادي الطائف الأدبي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

٤٥- **العمل والعمال والمهن في الإسلام** لزيدان عبد الباقي ٠- القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٧م.

٤٦- **غياث الأمم في التياث الظلم لعبد الملك بن عبد الله** أبي المعالي الجويني، إمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ) ؛ تحقيق عبد العظيم الديب ٠- ط١ ٠- الدوحة : كلية الشريعة - جامعة قطر، ١٤٠٠هـ .

٤٧- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** لابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)؛ تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، وأحمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب ٠- القاهرة : المكتبة السلفية ومكتبتها، ١٣٨٠هـ .

٤٨- **القاموس المحيط** للفيروزأبادي، محمد بن يعقوب الشيرازي ٠- بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ/١٤١٥م .

٤٩- **الاكتساب في الرزق المستطاب** لمحمد بن الحسن الشيباني ؛ تحقيق محمود عرنوس٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م .

٥٠- **لسان العرب** لابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (٧١١هـ) ٠- بيروت : دار صادر ، ب.ت.

٥١- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** ؛ جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه محمد، طبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين .

٥٢- **مروج الذهب ومعادن الجوهر** للمسعودي، علي بن الحسين ٠- بيروت : دار الأندلس.

٥٣- **المستدرك على الصحيحين** للحاكم، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (١٤٥هـ)؛ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٥٤- **مسند الإمام أحمد بن حنبل** لأحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ٠- القاهرة : دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١م.

٥٥- **مسند الشهاب** للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي؛ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ٠- ط١ ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

٥٦- **مسند أبي يعلى** لأحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلي (٣٠٧هـ) ٠- ط١ ٠- دمشق : دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ.

٥٧- **المصنف في الأحاديث والآثار** لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥هـ)؛ ضبط محمد عبد السلام شاهين ٠- ط١ ٠- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٥٨- **المصنف** لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ)؛ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي٠- ط٢ ٠- المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٥٩- **المعجم الأوسط** للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (٣٦٠هـ)؛ تحقيق محمود الطحان ٠- ط١ ٠- الرياض : مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٦٠- **المعجم الكبير** للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (٣٦٠هـ) ؛ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ٠- ط١ ٠- بغداد : الدار العربية للطباعة، ١٩٨٦م.

٦١- **مقومات العمل في الإسلام** لعبد السميع المصري ٠- ط١ ٠- القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٢هـ .

٦٢- **ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة** لمحمد علي مغربي ٠- ط٢ ٠- جدة : دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

٦٣- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** لابن الجوزي، عبد الرحمن (٥٩٧هـ) ٠- ط١ ٠- حيدرأباد ، الدكن : مكتبة المعارف العثمانية، ١٣٥٧هـ.

٦٤- **النهاية في غريب الحديث والأثر** لابن الأثير أبي السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ) ؛ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ٠- المكتبة الإسلامية، ب.ت .

٦٥- **كتاب الورع** لعبد الله بن محمد أبي بكر القرشي البغدادي؛ تحقيق محمد بن حمد الحمود ٠- ط١ ٠- الكويت : الدار السلفية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .